

عذاب القبر ونعيمه

جمع وترتيب
محمود المصرى
(أبو عمار)

مؤسسة قرطبة
ت: ٧٧٩٥٠٢٧

الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م

رقم الإيداع	٢٠٠١/١٠٨٤٩

تطلب منشوراتنا من

دار فجر الإسلام
ميدان الشون - المحلة الكبرى ٠١٢/٣٧٥٢٨٣٣

الناشر
مؤسسة قرطبة
٦٤ شارع الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧
٥ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين ت: ٠١٠١٢٣٧٨٧٤

الشركة الفنية للطباعة ت: 7771039

{مقدمة}

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فإن الإيمان باليوم الآخر ركنٌ من أركان الإيمان... وإن من صفات أهل الإيمان: الإيمان بالغيب بدءاً من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه.

فالإيمان باليوم الآخر هو السوط الذى يردع الإنسان عن ارتكاب المعاصى... وهو فى نفس الوقت ـ الحادى ـ الذى يحدو النفوس إلى مجاورة الملك القدوس فى جنته ودار مقامته.

ولما كان القبر أول منازل الآخرة كان لابد لنا من وقفة مع أحوال الناس فيه... فالقبر إما أن يكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حُفر النار.

وها أنا أقدم لحضراتكم من خلال تلك الرسالة الصغيرة

بعض الأدلة على عذاب القبر ونعيمه من القرآن الكريم والسنُة المطهرة. . . مع ذكر أسباب عذاب القبر ثم أختم رسالتى بذكر أسباب النجاة من عذاب القبر.

وهذه الرسالة هو جزء مختصر من مجلد سيصدر قريباً ـ إن شاء الله تعالى ـ بعنوان «رحلة إلى الدار الآخرة» يبدأ بالحديث عن الموت والسكرات وينتهى بالحديث عن النار ونعيم الجنات.

فأسأل الله (جل وعلا) أن يجعل قبورنا جميعاً روضة من رياض الجنة وأن يجمعنا جميعاً فى يوم المزيد فى الجنة حيث النعيم فى صُحبة الحبيب ﷺ والنظر إلى وجه الرحمن الرحيم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

محمود المصرى

(أبو عمار)

القبر أول منازل الآخرة

* عن هانئ مولى عثمان، قال: كان عثمان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبلّ لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكى، وتبكى من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»، قال: وقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه»«صحيح الجامع: ١٦٨٤».

لابن آدم بيتان

* وعن عبد الله بن العيزار قال: لابن آدم بيتان: بيت على ظهر الأرض، وبيت فى بطن الأرض، فعمد إلى الذى على الأرض فزخرفه وزينه، وجعل فيه أبواباً للشمال، وأبواباً للجنوب، وصنع فيه ما يصلحه لشتائه وصيفه، ثم عمد إلى الذى فى بطن الأرض فخربه، فأتى عليه آت، فقال: أرأيت هذا الذى أراك قد أصلحته، كم تقيم فيه؟ قال: لا أدرى. قال: فالذى خربته، كم تقيم فيه؟ قال: فيه مقامى، قال: تقرّ بهذا على نفسك، وأنت رجل تعقل؟!

* وروى ابن أبى الدنيا بإسناده، عن سلام بن صالح، قال: فُقِدَ الحسن ذات يوم، فلما أمسى، قال له أصحابه: أين كنتَ اليوم؟ قال: كنت اليوم عند إخوانٍ لى، إن نسيت ذكرونى، وإن غبت عنهم لم يغتابونى، فقال له أصحابه: نعم الإخوان والله هؤلاء، يا أبا سعيد، دلنا عليهم. قال: هؤلاء أهل القبور.

يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلهن

* وعن الحسن قال: يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلهن قط: ليلة تبيت مع أهل القبور لم تبت ليلة قبلها، وليلة صبيحتها يوم القيامة، ويوم يأتيك البشير من الله تعالى، إما إلى الجنة وإما إلى النار، ويوم تُعطَى كتابك إما بيمينك وإما بشمالك.

لمثل هذا اليوم فأعدّوا

* عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ، إذ بصر بجماعة، فقال: «**علام اجتمع هؤلاء؟**» قيل: على قبر يحفرونه. قال: ففزع رسول الله ﷺ فبدّى بين يدى أصحابه مسرعاً، حتى انتهى إلى القبر

فجثى عليه، قال: فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بلّ الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا فقال: «**أىْ إخوانى لمثل هذا اليوم فأعدوا**» «صحيح الجامع: ٢٦٥٩».

وقال ﷺ: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة» «صحيح الجامع: ٣٥٧٧».

وقال ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تُرق القلب وتُدمع العين وتذكر الآخرة...» «صحيح الجامع: ٤٥٨٤».

* قال سفيان الثورى: «من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومَنْ غفل عنه وجده حفرة من حفر النار».

* وعن أبى عاصم الحيطى، قال: كنت أمشى مع محمد بن واسع، فأتينا المقابر، فدمعت عيناه، ثم قال: يا أبا عاصم لا يغرنك ما ترى من خمودهم، فكأنك بهم قد وثبوا من هذه الأجداث، من بين مسرور ومهموم.

* وعن ابن السماك قال: لا يغرنّك سكوت هذه القبور، فما أكثر المغمومين فيها، ولا يغرنك استواؤها فما أشد تفاوتهم.

قف بالقبـور وقل على ساحـاتها

مَنَ منكم المغـمـور فى ظُلُمَاتهـا

ومن المكـرَّم منكم فى قـعـرها

قـد ذاق برد الأمن من روعاتهـا

أما السكون لذى العيـون فواحد

لا يسـتبين الفـضل فى درجاتهـا

لو جـاوبوك لأخـبـروك بألسنٍ

تصف الحقـائق بعد من حـالاتها

أمـا المـطيع فنازل فـي روضـة

يُفضى إلى مـا شاء من دوحـاتها

والمجـرمُ الطاغى بـهـا مـتـقلبٌ

فى حـفـرة يأوى إلـى حـيـاتهـا

وعـقـارب تسعـى إليه فـروحـه

فى شـدَة التعـذيب من لدغاتهـا

القبر يتكلم

* عن عُبيد بن عـمير ــ رحمـه الله ــ أنه قال: «يُجعل للقبـر لساناً ينطق به، فيـقول: ابن آدم كيف نسيـتنى؟! أما علمت أنى بيت الأكلة، وبيت الدود، وبيت الوحشة»

«رواه أبو نعيم بإسناد صحيح».

* وعنه ــ رحمـه الله ــ أنه قال: «إن القبر ليـقول: يا ابن آدم ماذا أعددت لـى؟ ألم تعلم أنى بيت الغربة، وبيت الوحدة، وبت الأكلة، وبيت الدود» «أخرجه ابن أبى شيبة بإسناد صحيح».

* وقال أسيد بن عبد الرحمن ـ رحمه الله ــ:

«بلغنى أن المؤمن إذا مـات، وحُمل قـال: أسرعـوا بى فـإذا وضع فى لحـده كلّمتـه الأرض فـقـالت له: إن كنتُ لأُحبك وأنت على ظهرى، فأنت الآن أحبّ إلىّ.

فإذا مات الكافر وحُمِل قال: ارجعوا بى، فإذا وضع فى لحده كلّمـته الأرض فقالـت: إن كنت لأبغضك وأنت على ظهرى، فأنت الآن أبغض إلىّ» «أخرجه ابن المبارك بإسناد صحيح».

أمنية الأموات

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه ، قال: مر النبى ﷺ على قبر دُفن حديثاً، فقال: «ركعتان خفيفتان مما تحقرون وتَنَفَّلُون يزيدهما هذا فى عمله أحب إليه من بقية دُنياكم»

«السلسلة الصحيحة: ١٣٨٨».

فالميت يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليصلى لله ركعتين فكيف بك يا مسلم تترك الصلاة ولا تعرف قدرها؟!

ضمة القبر

ضمة القبر لا ينجو منها أحد، صالحاً كان أو عاصياً، .... صغيراً كان أو كبيراً.

* قال رسول الله ﷺ عن سعد بن معاذ رضي الله عنه :

«هذا الذى تحرّك له العرش، وفُتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لقد ضمّ ضمّة ثم فرج عنه» «صحيح الجامع: ٦٩٨٧».

* وقال رسول الله ﷺ : «إن للقبر ضغطة، لو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ»«السلسلة الصحيحة: ١٦٩٥».

بل إن الطفل الصغير لا ينجو من ضمة القبر

* قال رسـول الله ﷺ: «لو أفلت أحد من ضمـة لنجا هذا الصبى»«صحيح الجامع:٥٢٣٨».

وأخرج ابن أبى الدنيا عن محمد التيمى قال:

«وكان يُقـال: إن ضمة القـبر، وإنما أصلها أنهـا أُمهم، ومنها خُلقوا فغابوا عنها الغـيبة الطويلة، فلما ردَّ الله تعالى أولادها، ضـمتهـم ضم الوالدة التى غاب عنهـا ولدها، ثم قدم عليها، فمن كان لله مُطيعاً، ضمتهُ برفقٍ، ومن كان لله عاصياً، ضمته بعنفٍ، سخطاً منها عليه».

فتنة القبر وسؤال الملكين

* قال ﷺ: «وأما فـتنة القبر فبى تُفـتنون وعنى تُسألون فإذا كان الرجل الصالح أجلس في قبـره غير فزعٍ، ثم يقالُ له ما هذا الرجلُ الذى كـان فيكمْ؟ فيـقولُ: محمـدٌ رسولُ الله جاءَنا بالبـينات منْ عند الله، فصدَّقناهُ، فيـفرجُ له فُرجةٌ قبل النار، فينظرُ إليها يحطمُ بعضُهـا بعضاً، فيقالُ له: انظر إلى ما وقـاك الله، ثم يُفرجُ لهُ فُرجة إلى الجنـة، فينظرُ إلى زهرتها وما فيـها، فيقالُ له: هذا مقـعدك منها، ويقالُ له: على اليقين كنـتَ، وعليه متَّ، وعليه تبـعثُ إن شاء الله،

وإذا كان الرجلُ السوءُ أجلس فى قبره فـزعاً، فيقالُ له: ما كنت تقول: فيقولُ: لا أدرى، فيقال: ما هذا الرجل الذى كان فيكم؟ فيقولُ: سمـعتُ الناس يقولون قولاً فقلت كما قالوا، فيفرج له فرجةٌ منْ قبل الجنة، فينظرُ إلى زهرتها وما فيها، فيـقالُ له: انظر إلى ما صرفَ الله عنكَ، ثم يفرجْ له فرجةٌ قبـل النار، فينظرُ إليها يحطم بعضُها بعـضاً، ويقالُ: هذا مقـعدكَ منهـا، على الشكّ كنتَ، وعليه مـتُّ، وعليه تبعثُ إن شاء الله، ثم يعذبُ»

«صحيح الجامع: ١٣٦١».

* وقال ﷺ: «إنَّ العـبدَ المؤمنَ إذا كـانَ فى انقطاع من الدُّنيا وإقبـال منَ الآخرة نزلَ إليه منَ السمـاء ملائكةٌ بيضُ الوجوه، كـأن وجوهَهُمَ الشمسُ، مـعهم كفنٌ منْ أكـفان الجنة، وحنوطٌ منْ حَنوط الجنَّة. . ـ إلى أن قال ـ فـتعادُ روحَه، فيـأتيه ملَكان، فيجلسانه، فـيقولان لهُ: منْ ربُّك؟ فيـقولُ: ربّىَ اللهُ، فيقـولان لهُ: ما دينُكَ؟ فيـقولُ: دينى الإسلامُ، فـيقـولان لهُ: ما هذا الرجلُ الذى بُعثَ فـيكم؟ فيقـولُ: هوَ رسولُ الله، فيقولان لهُ وما علمُكَ؟ فـيقولُ: قرأت كتابَ الله فآمنتُ به وصدَّقتُ، فينادى مُنادٍ منَ السماء

أن صدق عبـدى، فأفرشوهُ منَ الجنَّة، وألبسوهُ منَ الجنَّة، وافتحوا لهُ باباً إلى الجنَّة، فيأتيه منْ رَوحها وطيبها، ويفسحُ لهُ فى قـبره مدَّ بصـره، ويأتيه رجـلٌ حسنُ الوجـه، حسنُ الثِّياب، طيِّب الرِّيح، فيقولُ أبشر بالذى يَسُرُّكَ، هذا يومك الذى كنت توعـدُ، فيـقولُ لهُ: منْ أنت؟ فـوجهُكَ الوجـهُ يجىءُ بالخير، فيقولُ: أنا عملُك الصالحُ، فيقولُ: ربِّ أقم الساعةَ، ربِّ أقم الساعةَ، حتَّى أرجعَ إلى أهلى ومالى.

وإنَّ العبـدَ الكافرَ إذا كانَ فى انقطاع منْ الدُّنيا، وإقـبال منَ الآخـرة، نزلَ إليه من السـماء مـلائكةٌ سودُ الوجـوه، معهمُ المُسوحُ، فيجلسونَ منهُ مدَّ البصرُ. ـــ إلى أن قال ـــ

فتُعاد روحه فى جسده، ويأتيه ملـكان فيجلسانه فيقولان لهُ: منْ ربكَ؟ فيـقولُ: هاهْ هاهْ لا أدرى، فيقـولان لهُ: ما دينُك؟ فيقولُ هاهْ هاهْ لا أدرى، فيقولان لهُ: ما هذا الرجلُ الذى بُعثَ فيكم؟ فيقول هاهْ هاهْ لا أدرى، فينادى مناد منَ السمـاء: أن كذبَ عبدى، فـأفرشوهُ من النار، وافتـحوا لهُ باباً إلى النار فيأتيه منْ حرِّها وسَمُومها، ويضيق عليه قبرهُ، حتَّى تخـتلفَ أضلاعـهُ، ويأتيه رجلٌ قبـيحُ الوجه، قـبيحُ الثيـاب، منتنُ الرِّيح، فيـقولُ : أبشر بـالذى يسؤوك، هذا

يومك الذى كنت توعدُ، فيقـولُ. من أنتَ فوجهك الوجهُ يجىءُ بالشرّ؟ فيـقولُ: أنا عملك الخبيثُ، فـيقولُ: ربِّ لا تُقمِ الساعة»«صحيح الجامع: ١٦٧٦».

نعيم المؤمن فى قبره

فالمؤمن ينتقل فى قبره من نعيم إلى نعيم.

فأول نعيم يلقاه فى قبـره: أن الله (جل وعلا) يثبته عند سـؤال الملكين... قـال تعـالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾[إبراهيم: ٢٧].

ويرى المؤمن فى قـبره (النار) التى وقاه الله مـنها ويرى مقعده ومكانه فى الجنة ... ويـنور الله له قبره ويفسح له فى قـبره بل وينام المؤمن فى قـبره أطيب نومـة ويكون فى قمة شوقه لمن يبشر أهله بالنعيم الذى يجده فى قبره.

* قـال ﷺ: «لما أصـيب إخـوانكم بأُحـد، جـعل الله أرواحهم فـى جوف طير خـضر ترد أنهـار الجنة، تأكل من ثمـارها، وتـأوى إلى قناديل من ذهب، مـعلـقـة فى ظل

العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء نُرزق، لئلا يزهدوا فى الجهاد، ولا ينكلوا عند الحرب؟ فقال الله تعالى: «أنا أبلغهم عنكم»«صحيح الجامع: ٥٢٠٥».

* بل إن أعماله الصالحة تُمثَّل له وتؤنسه فى قبره كما جاء فى حديث البراء أنه «يُمثَّل له رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذى يسرّك، أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذى كنت تُوعد، فيقول له: وأنت فبشَّرك الله بخير، من أنت؟ فوجهك الوجه يجىء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح.».

* بل إن الله يملأ عليه قبره خضراً إلى يوم يبُعثون.

كما جاء فى الحديث: «... ويُفسح له فى قبره ويُملأ عليه خضراً إلى يوم يُبعثون».

* ويُفرش له قبره من الجنة... كما فى حديث البراء: «فينادى منادٍ من السماء: أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة».

* ويُبشَّر بصلاح ولده فى قبره.

* قال مجاهد: «إن الرجل ليُبشَّر بصلاح ولده فى قبره»

أما الصنف الآخر

أما الصنف الآخر فينادى عليه من السماء: أن كذب عبدى. ويااله من خزى وياله من عذاب... ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويمتلئ عليه قبره ظُلمة ... ويُفرش له قبره من النار ويُسلَّط عليه التنّين الذى يلسعه وينهشه... بل ويُضرب بمطراق حتى يصير تراباً ثم يُعيده الله كما كان... ويُمثَّل له عمله فى قبره.

ففى حديث البراء: «ويأتيه رجل قبيح الوجه ... فيقول أنا عملك الخبيث».

فنسأل الله العفو والعافية.

الأرواح قسمان: مُنعَّمة ومعذبة.

الأرواح قسمان: مُنعَّمة ومُعَذَّبة.

فأما المعذبة فهى فى شغل عن التزاور والتلاقى. وأما المنعمةُ المرسلة، غير المحبوسة، فتتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما

كان منها فى الدنيا، وما يكون من أهل الدنيا، فتكون كل روح مع رفيقها، الذى هو على مثل عملها، وروح نبينا محمد ﷺ فى الرفيق الأعلى.

* قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾[النساء: ٦٩]. هذه المعية ثابتةٌ فى الدنيا، وفى دار البرزخ، وفى دار الجزاء، والمرء مع من أحب فى هذه الدور الثلاثة»«الروح لابن القيم: ٢٦».

الأدلة على عذاب القبر ونعيمه من القرآن الكريم

لقد أنكر جماعة من الزنادقة عذاب القبر ونعيمه وجعلوا عامة المسلمين يشكون فى هذا الأمر... فإلى هؤلاء جميعاً نهدى بعض الأدلة من الكتاب والسُنة على عذاب القبر ونعيمه.

* قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ

وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[الأنعام: ٩٣].

«وجه الدلالة من هذه الآية أنه إذا كان يُفعل به هذا وهو محتضر بين ظهرانى أهله صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وهم لا يرون شيئاً من ذلك ولا يسمعون شيئاً من ذلك التقريع والتوبيخ ولا يدرون بشيء من ذلك الضرب، غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياق نفسه، ولا يعلمون بشيء مما يقاسى من الشدائد، فلأن يُفعل له فى قبره أعظم منه ولا يعلمه من كشف عليه أولى وأظهر؛ لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم»«معارج القبول».

* وقال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[التوبة: ١٠١]. وهذه الآية تدل على أن هناك عذابين سيصيبان المنافقين قبل عذاب يوم القيامة، العذاب الأول: ما يصيبهم الله به فى الدنيا إما بعقاب من عنده وإما بأيدى المؤمنين، والعذاب الثانى: عذاب القبر.

قال الحسن البصرى: «سنعذبهم مرتين: عذاب الدنيا، وعذاب القبر»«فتح البارى (٣/ ٢٣٣)».

* وقال تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر/ ٤٥:٤٦].

* والآية حجة واضحة لأهل السنة الذين أثبتوا عذاب القبر، فإن الحق تبارك وتعالى قرر أن آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً، وهذا قبل يوم القيامة؛ لأنه قال بعد ذلك: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾، قال القرطبي: «الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ، وهو حجة في تثبيت عذاب القبر»

«فتح الباري(١١/ ٢٣٣)».

* وقال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[السجدة: ٢١]، وقد احتج بهذه الآية جماعة (منهم عبد الله بن عباس) على عذاب القبر، وفي الاحتجاج بها شيء؛ لأن هذا عذاب في الدنيا يستدعى به رجوعهم من الكفر ولم يكن هذا مما يخفى على

حبر الأمة وترجمان القرآن، لكن من فقهه فى القرآن ودقة فهمه فيه، فهم منها عذاب القبر فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، فدل على أنه بقى لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال من العذاب الأدنى ولم يقل ولنذيقنهم العذاب الأدنى. فتأمله.

وهذا نظير قول النبى ﷺ : «فيفتح له طاقة إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها» ولم يقل فيأتيه حرها وسمومها، فإن الذى وصل إليه بعض ذلك وبقى له أكثره والذى ذاقه أعداء الله فى الدنيا بعض العذاب الأدنى، وبقى لهم ما هو أعظم منه»«الروح: ص١٠٢».

* وقال تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾[إبراهيم: ٢٧].

وفى حديث البراء بن عازب عن النبى ﷺ: «إذا أُقعد المؤمن فى قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ**

الثَّابِتِ﴾، وفى رواية أخــــرى: وزاد: **﴿يُثَبِّتُ الـلَّهُ الَّذِيـنَ آمَنُوا﴾** نزلت فى عذاب القبر»«أخرجه البخارى».

ـ وسأكـتفى بذكـر هذه الآيات الدالة على عذاب القـبر ونعيمه.

الأدلة على عذاب القبر ونعيمه من السنة المطهرة

اعلم ـ أخى الحبيب ـ أن الأحاديث الواردة فى عذاب القبر ونعـيمه متواترة وهى أخبـار ثابتة توجب العلم وتنفى الشك والريب.

ولقـد ترجم الإمام البـخارى فى كـتاب الجنائز (لعـذاب القبر) فقال: باب ما جاء فى عذاب القبر.

* عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ قال: «العـبدُ إذا وضع فى قبره وتولّى وذهب أصحابه حـتى أنَّه لَيسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فـأقعـداه فيـقـولان له: ما كنت تقـول فى هذا الرجل محـمد ﷺ؟ فيقـول: أشهد أنَّهُ عبـد الله ورسوله. فيـقال انظر إلى مقـعدك من النَّار أبدلك الله به مقـعداً من الجنة. قـال النبى ﷺ: فيـراهما جـميـعاً. وأمَّا الكافـرُ أو

المنافق فيقول: لا أدرى، كنتُ أقول ما يقول الناسُ. فيقال: لا دَرَيْتَ ولا تليت، ثم يُضربُ بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيحُ صَيْحةً يسمعها من يليه إلا الثقلين» (أخرجه البخارى) ورواه مسلم من طرق عن قتادة بنحوه وزاد فيه:

«قال قتادة: وذكر لنا أنَّهُ يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً ـ يعنى المؤمن ـ ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون»

(أخرجه مسلم).

وقال ﷺ: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع» (أخرجه مسلم).

* وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) أنَّ رسول الله ﷺ: «كان يعلمهم هذا الدعاء كما يُعلم السورة من القرآن قولوا: «اللَّهم إنَّا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجَّال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات» (أخرجه مسلم).

* وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أحَدكمْ إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة

والعشيِّ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النَّار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة». (متفق عليه).

*** وعن عائشة رضي الله عنها قالت:**

دخلت عليّ عجوزان من عجز يهود المدنية فقالتا: إنَّ أهلَ القبور، يعذَّبون في قبورهم. قالتْ: فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا ودخل عليَّ رسولُ الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله إنَّ عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا عليَّ فزعمتا أن أهلَ القبور يعذبون في قبورهم، فقال: صدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم، ثم قالت: فما رأيته بعدُ في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر» (أخرجه مسلم).

*** وعن أبي هريرة رضي الله عنه:**

قال رسول الله ﷺ : «إذا قُبر الميتُ ـ أو قال أحدكم ـ أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر والآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبدهُ ورسولهُ. فيقولان قد كنا نعلم أنَّك تقول هذا. ثم يفسح له في قبره سبعونَ ذراعاً في سبعين ثم ينور

له فيه، ثم يقال له: نم فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحبُّ أهليه إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لا أدرى. فيقولان: قد كنَّا نعلم أنَّكَ تقول ذلك. فيقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعة ذلك»(صحيح الجامع: ٧٢٤).

أسباب عذاب القبر

* قال الإمام ابن القيم:

«ما الأسباب التى تعذب بها أصحاب القبور؟ فجوابها من وجهين: مجمل ومفصل:

أما المُجْمَل: فإنهم يُعذَّبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره وارتكابهم لمعاصيه، فلا يعذب الله روحاً عرفته وأحبته وامتثلت أمره، واجتنبت نهيه، ولا بدناً كانت فيه أبداً فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده. فمن أغضب الله وأسخطه فى هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه. فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب.

وأما الجواب المفصل: فقد أخبر النبى ﷺ عن الرجلين اللذين رآهما يعذبان فى قبورهما يمشى أحدهما بالنميمة بين الناس، ويترك الآخر الاستبراء من البول، . . . . . ».

* فعذاب القبر من معاصى القلب والعين والأذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله.

* فالنمام والكذّاب والمغتاب وشاهد الزور وقاذف المحصن والداعى إلى البدعة، والقائل على الله ورسوله ما لا علم له به والمجازف فى كلامه، وآكل الربا، وأكل أموال اليتامى ظلماً، وآكل السحت من الرشوة، وآكل مال أخيه المسلم بغير حق أو مال المعاهد، وشارب المسكر وآكل لقمة الشجرة الملعونة «الحشيش»، والزانى واللوطى، والسارق والخائن والغادر والمخادع والماكر، وآخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهداه، والمحلل والمحلل له، والمحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه، ومؤذى المسلمين ومتتبع عوراتهم، والحاكم بغير ما أنزل الله، والمفتى بخلاف ما شرعه الله، والمعين على الإثم والعدوان، وقاتل النفس التى حرم الله، والملحد فى حرم الله، والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها،

والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله ﷺ، والنائحة والمستمع إليها، ونواحى جهنم وهم المغنون الغناء الذى حرمه الله ورسوله والمستمع إليهم، والذين يبنون المساجد على القبور يوقدون عليها القناديل والسرج، والمطففون فى استيفاء مالهم إذا أخذوا، وهضم ما عليهم إذا بذلوه، والجبارون والمتكبرون والمراءون والهمازون واللمازون والطاعنون على السلف، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرّافين، فيسألونهم ويصدقونهم، وأعوان الظلمة الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، والذى يفتخر بالمعصية ويتكثر بها بين إخوانه وأضرابه وهو المجاهر، والذى لا تأمنه على مالك وحرمتك، والفاحش اللسان البذىء الذى تركه الخلق إتقاء شره وفُحشه، والذى يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً، ولا يؤدى زكاة ماله طيبة بها نفسه، ولا يحج مع قدرته على الحج، ولا يؤدى الحقوق مع قدرته عليها، ولا يتورع من لحظة ولا لفظة ولا أكلة ولا خطوة. ولا يبالى بما حصَّل المال من حلال أو حرام، ولا يصل رحمه، ولا يرحم المسكين ولا الأرملة ولا اليتيم ولا الحيوان البهيم،

بل يدعُّ اليتيم ولا يحض على طعام المسكين، ويرائى العالمين، ويمنع الماعون، ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه، وبذنوبهم عن ذنبه، فكل هؤلاء وأمثالهم يُعذَبون فى قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها وصغيرها وكبيرها، ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب القبور معذبين والفائز منهم قليل، فظواهر القبور تراب، وبواطنها حسرات وعذاب، . . . ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات. وفى باطنها الدواهى والبليات. تغلى بالحسرات كما تغلى القدور بما فيها. ويحق لها وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيها. «الروح لابن القيم/ ١٠٣:١٠٦ بتصرف».

الأسباب المفصلة لعذاب القبر

(١) الشرك بالله والكفر به

ومن أعظم أسباب عذاب القبر ـ الإشراك بالله ـ.

قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ**

آياته تَسْتَكْبِرُونَ﴾[الأنعام: ٩٣].

وذلك أن الكافر إذا احتُضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم وغضب الرحمن الرحيم فتفرق روحه في جسده وتعصى وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم **﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ...﴾** . الآية «تفسير ابن كثير (٢/ ١٥٦)».

وقال تعالى عن آل فرعون: **﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾**

[غافر: ٤٦].

فالمراد بالنار هنا عذاب القبر ونيرانه لأن الله (عز وجل) قال بعدها: «ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب».

* وعن أبى أيوب (رضي الله عنه) قال: خرج النبى ﷺ وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً فقال: «يهودٌ تُعذَّب فى قبورها»(متفق عليه).

(٢) النفاق:

إن المنافقين أشد خطراً على الإسلام من الكفار الذين يجهرون بعداوتهم للإسلام وأهله... فهم الذين يُشعلون نار الفتنة بين المسلمين ويهدمون جدار الإسلام ـ باسم الإسلام ـ ولذلك فإن الله يُشعل قبورهم ناراً كما أشعلوا نيران الفتنة بين المسلمين.

قال تعالى: **﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾**[التوبة: ١٠١].

أما قوله تعالى: **﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾** قال قتادة والربيع بن أنس: إحداهما فى الدنيا والآخرى هى عذاب القبر.

وفى بعض أحاديث ـ سؤال الملكين ـ جاء التصريح بأن المنافق يُعذَّب فى قبره.

قال ﷺ: «... وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون قولاً، فقلت مثله، لا أدرى، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمى عليه، فتلتئم

عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»(السلسلة الصحيحة: ١٣٩١).

(٣) الكذب

ففى الحديث الذى رواه البخارى عن سمره بن جندب (رضي الله عنه) والذى يصوّر بعض مشاهد العذاب في القبر... قال ﷺ: «... فانطلقنا، فأتينا على رجل مُستلق لقفاهُ، وإذا آخرُ قائمٌ عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتى أحد شقى وجهه فيشرشرُ شدقهُ إلى قفاهُ، ومنخرهُ إلى قفاهُ، وعينه إلى قفاهُ، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعلُ به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغُ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانبُ كما كان ثم يعودُ عليه فيفعلُ مثل ما فعل المرة الأولى...» الحديث.

الكلوبُ: حديدة معوجة ينزع بها الشيء أو يعلق.

يُشرشِرُ: أى يقطع.

ثم جاء البيان فى آخر الحديث بقول الملكين للرسول ﷺ: «... وأما الرجلُ الذى أتيتَ عليه يُشرشرُ شدقهُ إلى قفاهُ، ومنخرهُ إلى قفاهُ، وعينهُ إلى قفاهُ، فإنهُ الرجل يغدو من بيته فيكذبُ الكذبة تبلغُ الآفاق...» الحديث.

وفى رواية: «أما الذى رأيتهُ يُشق شـدقهُ فكذابٌ يحدثُ بالكذبة فتُحملُ عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنعُ به ما رأيت إلى يوم القيامة. . . »(أخرجه البخارى).

(٤-٥) هجر القرآن بعد تعلمه والنوم عن الصلاة المكتوبة

وفى نفس الحـديث السابق يوضح لنا النـبى ﷺ مشـهد عذاب القبر لمن هجر القرآن بعد تعلّمه ولمن ينام عن الصلاة المكتـوبة. . . قـال ﷺ: «. . . وأنا أتـينا علـى رجل مُضطجع، وإذا آخـر قائمُ علـيه بصـخرة، وإذا هو يهـوى بالصخرة لرأسـه فيثلغُ رأسهُ فيـتدهدهُ الحجرُ ها هنا، فـيتبعُ الحجر، فيـأخذهٌ فلا يرجعُ إليه حتى يصح رأسـهُ كما كان، ثم يعودُ عليه فيفعلُ به مثلَ ما فعل المرة الأولى! . . . ».

«يَثْلَغْ رأسَهُ»: أى يشدخه ويشقه.

«يَتَدَهْدَهُ»: أى يتـدحـرج والمراد أنه دفـعـه من عُلوٍ إلى أسفل وتدهده إذا انحط.

ثم جـاء البيـان في آخر الحـديث بقول الملكين للرسـول

ﷺ: «. . . وأما الرجلُ الأول الذى أتيتَ عليه يُثلغُ رأسه بالحجرِ، فإنه الرجل يأخذُ القـرآنَ فيرفضهُ وينامُ عن الصلاة المكتوبة».

وفى رواية: «والذى رأيته يُشدخُ رأسـه فرجلٌ علمهُ الله القرآنَ، فنام عنهُ بالليلِ ولم يعمل فيه بالنهار، يُفعلُ به إلى يوم القيامة»(أخرجه البخارى).

قال ابن حجر: قال ابن هبيرة: رفض القرآن بعد حفظه جناية عظيمة لأنه يوهم أنه رأى فيه ما يوجب رفضه، فلما رفض أشرف الأشياء وهو القرآن عوقب فى أشرف أعضائه وهو الرأس.

وقال أيضـاً: يحتـمل أن يكون التعـذيب على مجـموع الأمرين ترك القراءة وترك العمل.

أما النوم عن الصـلاة المكتوبة وترك صلاتها مع جـماعة المسلمين بل يثـقل رأسـه على الفـراش، فجـزاؤه أن يثلغ ويرضخ هذا الرأس الذى هذا فـعله وشأنه، وهكـذا يُعذّب إلى قيام الساعة، فقد جاء فى بعض الروايات:

«. . . فيُفعل به إلى يوم القيامة» [فتح البارى(٣/ ٢٥١)].

(٦) أكل الربا

وفى الحـديث السابق أيضـاً: «. . . فانطلقنا فـأتينا على نهر حـسبتُ أنه كان يقـولُ أحمر مـثل الدم، وإذا فى النهر رجلٌ سـابحٌ يسـبحْ، وإذا على شط النهـر رجلٌ قد جـمع عندهُ حجارة كـثيرة، وإذا ذلك السابحُ يسـبحُ ما يسبحُ، ثم يأتى ذلك الذى قد جمع عندهُ الحجارة فيفغر ــ أى يفتح ــ له فاه فُيلقمهُ حجراً فينطلق يسبح ثم يرجعُ إليه، كلما رجَعَ إليه فَغَرَ له فاهُ فألقمهُ حجراً. . .» الحديث.

وفى آخر الحديث: «وأمـا الرجل الذى أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه آكل الربا».

(٧) الزنا

وفى الحديث السابق كـذلك : «. . . فانطلقنا فأتينا على مثل التنور، قـال: وأحسبُ أنه كـان يقول: فإذا فـيه لغطٌ وأصواتٌ، قال: فطلعنا فيه فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عُراة، وإذا هم يأتيـهم لهبٌ من أسـفل منهم إذا أتاهم ذلـك اللهبُ ضوضوا. . . .» ــ أى صاحوا ــ.

وفى آخر الحـديث: «وأما الرجال والـنساء العُراة الذين هم فى مثل بناء التنور فإنهم الزُناة والزوانى».

* قال الحافظ ابن حجر فى «الفتح» (١٢/ ٤٦٥):

«مناسبة العرى لهم لاستحقاقهم أن يُفضحوا؛ لأن عادتهم أن يستتروا فى الخلوة فعوقبوا بالهتك، والحكمة فى إتيان العذاب من تحتهم كون جنايتهم من أعضائهم السفلى.

(٨، ٩) عدم الاستبراء من البول والمشى بين الناس بالنميمة

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: مر النبى ﷺ بحائط ـ أى بستان ـ من حيطان المدينة فسمعَ صوتَ إنسانين يُعذبان فى قبورهما، فقال النبى ﷺ: «إنهما ليُعذبان، وما يُعذبان فى كبير»، ثم قال: «بلى وإنهُ لكبير،[1] كان

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: وقيل: ويحتمل أن الضمير فى قوله: «وأنه» يعود على العذاب، لما ورد فى «صحيح ابن حبان» من حديث أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ: «يعذبان عذاباً شديداً فى ذنب هين»، وقيل: المعنى ليس بكبير فى اعتقادهما أو فى اعتقاد المخاطبين وهو عند الله كبير كقوله تعالى ﴿وتحسبونه هيناً وهوعند الله عظيم﴾[النور: ١٥]. ، وقيل: ليس بكبير الاحتراز منه، أى كان لا يشق عليهما الاحتراز من ذلك، وهذا الأخير جزم به البغوى وغيره، ورجحه ابن دقيق العيد وجماعة، وقيل: ليس بكبير بمجرده وإنما صار كبيراً بالمواظبة عليه، ويرشد إلى ذلك السياق فإنه وصف كلاً منهما بما يدل على تجدد ذلك منه واستمراره عليه للإتيان بصيغة المضارعة بعد حرف كان. والله أعلم. أ هـ. =

أحدهُمَا لا يستتر من بوله: وفى رواية: البول، وكان الآخر يمشى بالنميمة، ثم دعا بـجريدة رطبةٍ، وفى رواية: بعسيب رطب فكسـرها كسـرتين، وفى الرواية: فـشقـها نصـفين، فوضع على كل قبر منهما كسرةً، فقيل له: يا رسول الله لِمَ فعلت هذا؟

قال ﷺ : «لعلهُ أن يُخففَ عنْهما مالم ييبسا» . (متفق عليه) .

- وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ : «إن عامة عذاب القبر من البولِ فتنزهوا منهُ»(صحيح الجامع: ٢١٠٢) .

* وعن أنـس رضي الله عنه عن النبى ﷺ قـال: «اتقوا التـبول فإنهُ أولُ ما يُحاسب به العبدُ فى قبرهِ» [صحيح الترغيب(١/ ١٥٣)] .

(١٠) الغيبة

ففى الحديث السابق الذى ذكر فيه النبى ﷺ أن أحدهما كان لا يستـتر من البول وأن الآخر كان يمشى بالنمـيمة. . .

= قال الحـافظ : معنى «الاسـتتار» أنه لا يجـعل بينه وبين بوله سـتره، يعنى: لا يتحفظ منه، فـتوافق رواية «لا يستنزه» لأنها من التنـزه وهو الإبعاد، وفى حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عند ابن خزيمة وصححه: «أكـثر عذاب القبر من البول» أى : بسبب ترك التحرز منه. أ هـ (الفتح: ١/ ٣٨٠) بتصرف.

جـاء فى بعض روايات هـذا الحـديث أن النبى ﷺ قـال: «وأما الآخر فيُعذَّب فى الغيبة» (صحيح الجامع: ٢٤٤١).

وعن مـيمـونة ـ مولاة النبى ﷺ ـ أن النبى ﷺ قـال لهـا: «يا ميـمـونة إن من أشد عـذاب القبـر: من الغـيبـة والبول»(رواه ابن سعد بإسناد حسن).

سبب تخصيص عذاب القبر من البول والغيبة والنميمة

وقد ذكـر بعضـهم السر فى تخـصيص البـول والنميـمة والغيبة بعذاب القبـر وهو أن القبر أول منازل الآخرة، وفيه أنموذج مـا يقع فى يوم القـيـامـة من العـقـاب والثـواب. والمعاصى التى يعاقب عليـها العبد يوم القيـامة نوعان: حق لله، وحق لعـباده، وأول مـا يقضى فـيه يوم القـيامـة من حقوق الله: الصلاة، ومن حقوق العباد: الدماء.

وأما البـرزخ فيقـضى فيه فـي مقدمـات هذين الحقين، ووسائلهما. فمقدمة الصلاة: الطهارة من الحدث والخبث، ومقدمـة الدماء: النميمـة، والوقيعة فى الأعـراض، وهما أيسر أنواع الأذى، فـيبدأ فى البـرزخ بالمحاسبة، والعـقاب عليهما.

(١١) جرّ الإزار خيلاء

قال ﷺ : «بينما رجلٌ يجر إزاره إذ خُسف به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة»(أخرجه البخارى).

وفى رواية: «بينما رجل يمشى فى حُلة تُعجبه نفسه مرجِّل جمته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة» (أخرجه البخارى).

قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله): قال ابن فارس: التجلجل أن يسوخ في الأرض مع اضطراب شديد ويندفع من شق إلى شق... فالمعنى يتجلجل فى الأرض أى ينزل فيها مضطرباً متدافعاً. أ هـ .

(١٢) إيذاء الناس باللسان

ففى حديث أبى هريرة (رضي الله عنه) ــ فى رواية ابن حبان ــ

أن النبى ﷺ قال: «كان أحدهما لا يستتر من البول وكان الآخر يؤذى الناس بلسانه ويمشى بينهم بالنميمة» (رواه ابن حبان وصححه الحافظ فى الفتح).

وإيذاء الناس باللسان يكون بالسب واللعن والكذب والاستهزاء والسخرية والقذف والفحش والغيبة وغيرها.

(١٣) حبس الحيوان وتعذيبه

قال ﷺ : «ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء» (صحيح الجامع: ٨٩٦).

ومن هذا المنطلق فإن الذى يعذب الحيوان ولا يرحمه فإن الله لا يرحمه لأن الرحمة لا تكون إلا للرحماء.

وفى حديث الكسوف الذى رواه مسلم عن جابر (رضي الله عنه): أن النبى ﷺ قال: «. . . وعُرضت علىَّ النار فرأيت فيها امرأة من بنى إسرائيل تُعذَّب فى هرةٍ لها. ربطتها فلم تُطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض» (أخرجه مسلم).

* قال البيهقى فى «إثبات عذاب القبر»(ص: ٩٧).

«ورأى حين صلى صلاة الخسوف من يجر قُصبه فى النار، ومن يُعذَّب فى السرقة، والمرأة التى كانت تعذب فى الهرة وقد صاروا فى قبورهم رميماً فى أعين أهل زمانه، ولم ير من صلى معه من ذلك ما رأى».

(١٤) الدَّين

فالميت قد يُحبس فى قبره بسبب الدَّين ولذلك يجب على كل مسلمٍ أن يرد إلى الناس حقوقهم قبل أن يترك الدنيا بكل مافيها ويذوق العذاب الأليم بسبب تلك المظالم.

* عن جابر بن عبد الله قال: «توفى رجل فغسلناه وحنطناه وكفناه، ثم أتينا به النبى ﷺ ليصلي عليه فخطّ خطاً، ثم قال: «هل عليه دَيْن؟». قلنا: نعم. قال: «صلّوا على صاحبكم»، فقال أبو قتادة: يارسول الله دينه علىَّ؟، فقال النبى ﷺ: «هما عليك حق وبرء الميت؟»، قال: نعم. فصلى عليه، ثم لقيه في الغد فقال: «ما فعل الديناران؟». فقال: يارسول الله إنما مات أمس. ثم لقيه من الغد فقال: «ما فعل الديناران؟»، فقال يا رسول الله قد قضيتهما. فقال رسول الله ﷺ: «الآن بردت عليه جلده»
(رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى).

* وعن سعد بن الأطول رضي الله عنه: «أن أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم، وترك عيالاً، قال: فأردت أن أنفقها على عياله، قال: فقال لى نبى الله ﷺ: «إن أخاك محبوس بدينه، فاذهب فاقض عنه»، فذهبت فقضيت عنه، ثم

جـئت، قلت: يارسـول الله، قد قـضـيت عنه إلا دينارين ادعتهما امرأة، وليست لها بيـنة، قال: «أعطها فإنها محقة» وفي رواية «صادقة» (رواه أحمد وصححه الألباني في أحكام الجنائز).

فقد أخبر الرسول ﷺ أن ذلك الصحابي محبوس بسبب دينه، ويمكن أن يُفسر هذا الحبس الحـديث الآخر حيث قال الرسول ﷺ: «إنه مأسور بدينه عن الجنة».

(١٥) الغلول من الغنيمة

الغلول: هو أن يأخـذ الغـازي شيـئاً مـن الغنيمـة دون عرضه على ولي الأمر لقسمته.

قال ﷺ فـي الرجل الذي أخذ الغلول: «والذي نفـسي بيده إن الشملة التي أخـذها يوم خيبر من المغانم لم تُصـبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً» ـ أي في قبره» . (متفق عليه).

(١٦) الإعراض عن ذكر الله

قال تعـالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[طه: ١٢٤].

عن أبي سعيد في قوله (معيشة ضنكا) قال: يُضيَّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فيه.

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾ قال: «عذاب القبر»(رواه البزار وقال ابن كثير: إسناده جيد).

وقال الإمام ابن القيم: فى الداء والدواء وفُسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر ولا ريب أنه من المعيشة الضنك. ــ والآية تتناول ما هو أعمّ منه.

(١٧) النياحة على الميت

قال ﷺ: «إن الميت يُعذَّب ببكاء أهله عليه»(متفق عليه).

وقال ﷺ: «الميت يُعذَّب فى قبره بما نيح عليه»(أخرجه مسلم).

وهذا العذاب يكون لمن أوصى أهله بالنياحة عليه بعد موته أو لمن لم يوص أهله بترك النياحة مع علمه أنهم سيفعلون ذلك أما من أوصى بترك النياحة فلما مات لم يتركوا النياحة عليه فهذا لا شىء عليه.

والمقصود بالبكاء المذكور فى الحديث الأول هو النياحة المذكورة فى الحديث الثانى وذلك لأن مجرد البكاء لا شىء فيه بالنسبة للميت وأهله لأن البكاء رقة فى القلب تظهر بوضوح عند الموت وفراق الأحبه... ولقد بكى النبى ﷺ

عند موت ابنه إبراهيم وعند موت بعض أصحابه (رضى الله عنهم وعن إبراهيم).

(١٨) الإفطار فى رمضان من غير عذر

عن أبى أمامة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما أنا نائم أتانى رجلان فأخذا بضبعى فأتيا بى جبلاً وعراً فقالا: اصعد. فقلت: إنى لا أطيقه. فقالا: إنا سنسهله لك... فصعدت حتى إذا كنت فى سواء الجبل. إذا بأصوات شديدة قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار ثم انطلق بى فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دماً، قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم»

[صحيح الترغيب(٩٩٥)].

(١٩) من منعت لبنها عن طفلها بغير عذر

ففى الحديث السابق أن رسول الله ﷺ قال: «... ثم انطلق بى فإذا أنا بنساء تنهش ثديهن الحيات. قلت: ما بال هؤلاء؟ قال: هؤلاء يمنعن أولادهن ألبانهن...».

(٢٠) اللواط

قال ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا

الفاعل والمفعول به» (صحيح الجامع: ٦٥٨٩).

قال ابن عباس: «يُنظر أعلى بناء فى القرية فيُلقى منه ثم يُتبع بالحجارة كما فُعل بقوم لوط».

ولقد عاقب الله قوم لوط عقاباً شديداً فى الدنيا، وهذا مع ما ينتظرهم من العقوبة فى الآخرة... ولشناعة تلك الجريمة وقبحها عاقب الله مرتكبيها بأربعة أنواع لم يجمعها على قوم غيرهم: وهى أنه طمس أعينهم وجعل أعالى قراهم سافلها وأمطرهم بحجارة من سجيل منضود، وأرسل عليهم الصيحة، وفى هذه الشريعة صار القتل بالسيف - على الراجح - هو عقوبة الفاعل والمفعول به إذا كان عن رضى واختيار.

وقال ابن عباس - رضى الله عنهما -: «إن اللوطى إذا مات من غير توبة فإنه يُمسخ فى قبره خنزير».

(٢١) السرقة

ففى حديث الكسوف الذى رواه مسلم عن جابر (رضي الله عنه) أن النبى ﷺ قال: «... وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قُصبه فى النار. كان يسرق الحاج بمحجنه فإن فطن له قال: إنما تعلّق بمحجنى وإن غفل عنه ذهب به...».

والمحجن: عصا مغففة الطرف.

(٢٢) أمر الناس بالبر ونسيان النفس

قال تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾[البقرة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾[الصف/ ٢: ٣].

وقال ﷺ: «رأيتُ ليلة أُسرى بى رجالاً تُقرضُ شفاهُمُ بمقاريضَ من نار، فقلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: الخُطباءُ من أمتكَ، يأمرون الناس بالبر وينسونَ أنفُسهمُ، وهُمْ يتلون الكتاب، أفلا يعقلون؟!»(السلسلة الصحيحة: ٢٩١).

وعند البيهقى: «أتيت ليلة أُسرى بى على قوم تُقرض شفاهم بمقاريض من نار، كلما قرضت وفَّت، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرءون كتاب الله ولا يعملون به»(صحيح الجامع:١٢٩).

* * *

ما ينفع العبد فى قبره

* قال ﷺ: «يتبع الميت ثلاثة: أهله وعمله وماله فيرجع اثنان ويبقى واحدٌ يرجع أهله وماله ويبقى عمله»(متفق عليه).

* وقال ﷺ : «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (رواه مسلم).

وقال ﷺ : «إنَّ مما يلحقُ المؤمنَ من عمله وحسناته، بعد موته، علماً نشرهُ، وولداً صالحاً تركهُ، ومصحفاً ورَّثهُ، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناهُ، أو نهراً أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله فى صحته وحياته، تلحقهُ من بعد موته»(صحيح الجامع: ٢٢٣١).

وقال ﷺ: «أربعةٌ تجرى عليهم أجورهم بعد الموت: من ماتَ مرابطا في سبيل الله، ومن علَّم علماً أجرى له عملهُ به، ومن تصدَّق بصدقة فأجرها يجرى له ما وجدت، ورجل ترك ولداً صالحاً فهو يدعو له»(صحيح الجامع: ٨٧٧).

وقال ﷺ: «سبعٌ يجرى للعبد أجرهُنَّ، وهو فى قبره بعد موته: من علَّم علماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو

غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورَّث مُصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته»(صحيح الجامع: ٣٦٠٢).

الأسباب المنجية من عذاب القبر

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ

«فجوابها أيضاً من وجهين: مجمل ومفصل.

* أما المجمل: فهو تجنب تلك الأسباب التى تقتضى عذاب القبر، ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه فى يومه، ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله، فينام على تلك التوبة ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات على توبة وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير أجله، حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فاته وليس للعبد أنفع من هذه النومة، ولا سيما إذا عقَّب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التى وردت عن رسول الله ﷺ عند النوم حتى يغلبه النوم، فمن أراد الله به خيراً وفقه لذلك، ولا قوة إلا بالله.

أما الجواب المُفَصَّل: فنذكر أحاديث عن رسول الله ﷺ فيما ينجى من عذاب القبر.

(١) الإيمان والتقوى والعمل الصالح

قال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾[الطلاق/ ٢ : ٣] .

ففي تلك الآيات وعد الله أهل التقوى بأن يجعل لهم مخرجاً من كل ضيق وليس هناك شدة ولا ضيق أعظم من شدة السكرات وخروج الروح ودخول القبر.

فمن كان فى الدنيا تقياً فإن الفرج والمخرج يكون له ثواباً فى قبره. . . قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : «وقد جاء فيما ينجى من عذاب القبر حديث فيه الشفاء، رواه أبو موسى المدينى وبيّن علته فى كتابه فى «الترغيب والترهيب» وجعله شرحاً له رواه من حديث الفرج بن فضاله، . . . . عن عبد الرحمن بن سمرة، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن فى صفة بالمدينة فقام علينا فقال: «إنى رأيت البارحة عجباً، رأيت رجلاً من أمتى أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاء برِّه بوالديه فرد ملك الموت عنه. ورأيت رجلاً من أمتى قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فطيرَّ الشياطين عنه. ورأيت رجلاً من أمتى قد احتوشته ملائكة

العذاب فجاءته صلاته فـاستنقذته من أيديهم. ورأيت رجلاً من أمـتى يلهث عطشـاً كلمـا دنا من حـوض مُنع وطُرد، فجاءه صيام شهر رمـضان فأسقاه وأرواه. ورأيت رجلاً من أمتى ورأيت النبيين جلوساً حلقـاً حلقاً، كلما دنا إلى حلقة ُطرد ومنع، فجـاءه غُسله من الجنابة فأخذ بيده فـأقعده إلى جنبى. ورأيت رجـلاً من أمـتى مـن بين يديه ظلمـة ومن خلفـه ظلمة، وعن يمينه ظلمـة، وعن يساره ظلمـة، ومن فـوقه ظلمـة، وهو مـتحـير فـيه فـجـاءه حجـه وعمـرته فاسـتخرجـاه من الظلمة وأدخـلاه فى النور، ورأيت رجلاً من أمتى يتقى وهج النار وشرورها فجـاءته صدقته فصارت سـتـراً بينه وبين النار وظللا على رأسـه. ورأيت رجلاً من أمـتى يكلم المؤمنين ولا يكلمـونه فـجـاءته صلتـه لرحمـه فقـالت: يا معشر المؤمنين إنـه كان وصولاً لرحمـه فكلموه فكلمه المؤمـنون وصافحـوه وصافحـهم. ورأيت رجلاً من أمتى قد احـتوشته الزبانيـة فجاءه أمره بالمعـروف ونهيه عن المنكر فـاستنقذه من أيديـهم وأدخله فى ملائكة الرحـمة. ورأيت رجلاً مـن أمتى جاثـياً على ركبـتيـه وبينه وبين الله حجاب فجاءه حـسن خلقـه فأخذ بيـده فأدخلـه علـى الله

عز وجل. ورأيت رجلاً من أمتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه. ورأيت رجلاً من أمتي خفَّ ميزانه فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه. ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم فجاءه رجاؤه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى. ورأيت رجلاً من أمتي قد هوى في النار فجاءته دمعته التي قد بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك. ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط، يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن روعه ومضى. ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط يحبو أحياناً ويتعلق أحياناً فجاءته صلاته عليَّ فأقامته على قدميه وأنقذته. ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة» قال الحافظ أبو موسى: هذا حديث حسن جداً، وقال الإمام ابن القيم: وسمعت شيخ الإسلام يعظِّم أمر هذا الحديث، وقال أصول السنة تشهد له وهو من أحسن الأحاديث» (الروح: ص ١١٠: ١١٢).

(٢) الاستقامة على طاعة الله (جل وعلا)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[فصلت/ ٣٠:٣٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأحقاف/ ١٣: ١٤].

* فلقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بُعث عليه... فمن عاش على الطاعة مخلصاً لله ومتبعاً لهدى رسول الله ﷺ فإنه يموت على الطاعة وينوِّر الله له قبره بتلك الطاعة بل ويصبح قبره روضة من رياض الجنة جزاءً لكل لحظة عاشها فى طاعة الله (جل وعلا).

(٣) الشهادة فى سبيل الله تعالى:

قال ﷺ : «للشَّهيد عندَ الله سَبعُ خصال: يُغفرُ لهُ في أوَّل دَفعة من دمه ، ويَرى مَقعده من الجنَّة، ويُحلَّى حُلَّةَ الإيمان، ويُزوجُ اثنين وسبعين زوجة من الحور العين ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضعُ على رأسه تاج الوقار، الياقوته منه خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويَشفعُ فى سبعين إنساناً من أهل بيته»(صحيح الجامع: ٥١٨٢).

بل قال رجلٌ للحبيب ﷺ : «يارسول الله ما بال المؤمنين يُفتنون فى قبورهم إلا الشهيد؟ قال ﷺ: «كفى ببارقة السيوف على رَأسه فتنة»(رواه النسائى والترمذى بإسناد صحيح).

* قال الشيخ الألبانى: (تنبيه): ترجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصاً من قلبه ولو لم يتيسر له الاستشهاد فى المعركة بدليل قوله ﷺ :«منْ سأل الله الشهادة بصدق، بلغهُ الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»(اخرجه مسلم).

(٤) من مات شهيداً فى غير حرب

لقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ بأن هناك شهداء غير الذين يُقتلون فى سبيل الله. . . ولقد علمنا أن الشهيد يُجار من فتنة وعذاب القبر.

* قال ﷺ : «ما تعدون الشهيد فيكم؟» قالوا: يا رسول الله! من قُتل فى سبيل الله فهو شهيد. قال: «إن شهداء أمتى إذاً لقليل» قالوا: فمن هم يارسول الله قال: «من قُتل فى سبيل الله فهو شهيد. ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد. ومن مات فى الطاعون فهو شهيد. ومن مات فى البطن فهو شهيد» (أخرجه مسلم).

* وقال ﷺ :« من فصل فى سبيل الله فمات أو قُتل أو رفصته فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات فى فراشه بأى حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة»(صحيح الجامع:٦٤١٣).

وقال ﷺ : «من قتله بطنه لم يُعذَّب فى قبره»

(صحيح الجامع: ٦٤٦١).

* والموت بداء البطن: هو الاستسقاء وانتفاخ البطن. وقيل: هو الإسهال. وقيل الذى يشتكى بطنه.

وقال ﷺ: «الطاعون شهادة لكل مسلم»(متفق عليه).

وقال ﷺ : «من قُتل دون ماله فهو شهيد ومن قُتل دون دمه فهو شهيد ومن قُتل دون دينه فهو شهيد ومن قُتل دون أهله فهو شهيد»(صحيح: ٦٤٤٥).

وقال ﷺ : «من قُتل دون ماله مظلوماً فله الجنة» (صحيح الجامع: ٦٤٤٦).

وقال ﷺ : «من قُتل دون مظلمته فهو شهيد» (صحيح الجامع: ٦٤٤٧).

وقال ﷺ : «الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد والغرق شهيد وصاحب ذات الجنب شهيد والمبطون شهيد والحرق شهيد والذى يموت تحت الهدم شهيد والمرأة تموت بجمع شهيدة» (رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي).

تموت بجمع : أى تموت وفي بطنها ولد.

فكل هؤلاء الذين ذكرهم الحبيب ﷺ شهداء... والشهداء هم الذين أكرمهم الحق (جل وعلا) فى الدنيا بنعمة الشهادة وفى القبر بالنعيم والنجاة من الفتنة والعذاب... وفى الآخرة بالخلود فى الجنان مع الأحباب.

(٥) المرابطة فى سبيل الله تعالى:

قال ﷺ : «رباط يوم في سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه ومن مات فيه وُقى فتنة القبر ونما له عمله إلى يوم القيامة» (صحيح الجامع: ٣٤٨١).

وقال ﷺ : «كل ميت يُختم على عمله إلا الذى مات مرابطاً فى سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويؤمَّن من فتَّان القبر»(صحيح الجامع: ٤٥٦٢).

وفى رواية الطبرانى: «من مات مرابطاً فى سبيل الله أمنَّه الله من فتنة القبر».

(٦) قراءة سورة تبارك

أيها الأخ الحبيب . . . أيتها الأخت الفاضلة:

لا تغفلوا عن قراءة سورة المُلك (تبارك) كل ليلة فلقد أخبر الحبيب ﷺ أنها تمنع من عذاب القبر.

قال ﷺ : «سورة تبارك هى المانعة من عذاب القبر» (صحيح الجامع: ٣٦٤٣).

وقال ﷺ : «سورة من القرآن ما هى إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة وهى تبارك» (صحيح الجامع: ٣٦٤٤).

(٧) تجنب أسباب عذاب القبر

ومن أسباب النجاة من عذاب القبر أن يتجنب العبد كل الأسباب التى تؤدى إلى عذاب القبر: مثل النميمة وعدم

الاستتار والتنزه من البول . . . والكذب وهجر القرآن وعدم العمل به . . . وأكل الربا والوقوع فى الزنا .

فكل هذه الأشـياء من أسـباب عـذاب القـبر فـعلينا أن نتجنبها لننجو جميعاً من عذاب القبر .

وكذلك علينا أن نـتجنب الأسبـاب التى تؤدى إلى سوء الخاتمة ألا وهى : الشك والجحـود الذى تسببه البـدع وفساد المعـتقـد والنفاق وحب المعـاصى والإصـرار عليهـا وتعلق القلب بغير الله والانتحار والعـدول عن الاستقامة وتسويف التوبة وحب الدنيا وطول الأمل .

(٨) التوبة الصادقة عند الموت

قال الإمام ابن القيم ـ رحـمه الله ـ فى كتاب (الروح) وهو يذكر أنفع الأسباب المنجية من عذاب القبر :

ومن أنفعها أن يجلس الرجـل عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه فى يومه ، ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله ، فـينام على تلك التوبة ويعزم على أن لا يعـود إلى الذنب إذا استـيقظ ، ويفـعل هذا كل ليلة ، فـإذا مات فى لـيلته مـات على توبة ، وإن اسـتيـقظ

استيقـظ مستقبلاً للعـمل مسروراً بتأخر أجله حتى يسـتقبل ربه ويستدرك ما فاته. أ. هـ .

وما أجمل أن يختم العبد تلك الساعـة بسيد الاستغفار. فقد قال ﷺ :

فقد قال ﷺ : «سيِّدُ الاسـتغفار أنْ تقولَ : اللهمَّ أنتَ ربِّى، لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدُك، وأنا على عهدكَ ووعدك ما استطعتُ؛ أعوذ بك من شرّ ما صنعتُ أبوءُ لك بنعمتك علىَّ، وأبوءَ بذنبى، فاغفر لى فإنه لا يغفُر الذنوبَ إلا أنت.

قال: ومَنْ قَالها من النَّهار موقناً بهـا فمات من يومه قبلَ أن يُمسـى فهـو من أهل الجنة، ومَنْ قالهـا من الليل وهو مُوقنٌ بها فمَات قبلَ أن يُصبح فهو من أهل الجنة»
(أخرجه البخارى وأحمد).

(٩) الموت فى ليلة الجمعة أو فى يوم الجمعة

قـال ﷺ : «مـا من مـسلم يموت يوم الجـمـعـة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله تعالى فتنة القبر»(صحيح الجامع: ٥٧٧٣).

وهذا السبب ليس من كسب العبد وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

قال الحكيم الترمذى: «ومن مات يوم الجمعة فقد انكشف الغطاء عما له عند الله تعالى؛ لأن يوم الجمعة لا تُسجَّر فيه جهنم وتغلق أبوابها ولا يعمل سلطان النار ما يعمل فى سائر الأيام، فإذا قبض الله عبداً من عبيده، فوافق قبضه يوم الجمعة كان ذلك دليلا لسعادته وحسن مآربه، وأنه لم يقبض فى هذا اليوم العظيم إلا من كتب الله له السعادة عنده فلذلك لم يقه فتنة القبر؛ لأن سببها إنما هو تمييز المنافق من المؤمن».

(١٠) الدعاء

ولا يجب أبداً أن يغفل المسلم عن الدعاء .. فالدعاء من أعظم أسباب النجاة فى الدنيا والآخرة.

سمع النبى ﷺ رجلاً يقول فى التشهد: (اللهم إنى أسألك بأنَّ لك الحمدُ، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لكَ، المنَّانُ يابديع السموات والأرض، ياذا الجلال والإكرام، يا حى ياقيوم إنى أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار).

ـ فقال ﷺ لأصحابه: «تدرونَ بما دعا؟» قالوا: الله ورسولُهُ أعلم. قال: «والذى نفسى بيده؛ لقد دعا الله باسمه العظيم (وفى رواية: الأعظم) الذى إذا دُعى به أجابَ، وإذا سُئل به أعطى» (رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى).

فعلينا أن نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُليا وبإسمه الأعظم أن ينجينا من عذاب القبر (ونحن مُوقنون بالإجابة).

(١١) شرب ماء زمزم بنية النجاة من عذاب القبر

قال ﷺ: «ماء زمزم لما شُرب له»(صحيح الجامع:٥٥٠٢)..

وكان ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ إذا شرب ماء زمزم قال: «اللهم إنى أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كل داء».

فمن كان مريضاً أو صاحب حاجة فليشرب منه وليدع بما شاء.

وأوصى نفسى وإخوانى وأخواتى بأن يشربوا ماء زمزم بنية أن يُنزل الله نصره على المسلمين وأن يجيرنا من عذاب القبر وعذاب النار وأن يرزقنا صُحبة الحبيب ﷺ في جنته ودار كرامته.

أخى الحبيب .... أختى الفاضلة:

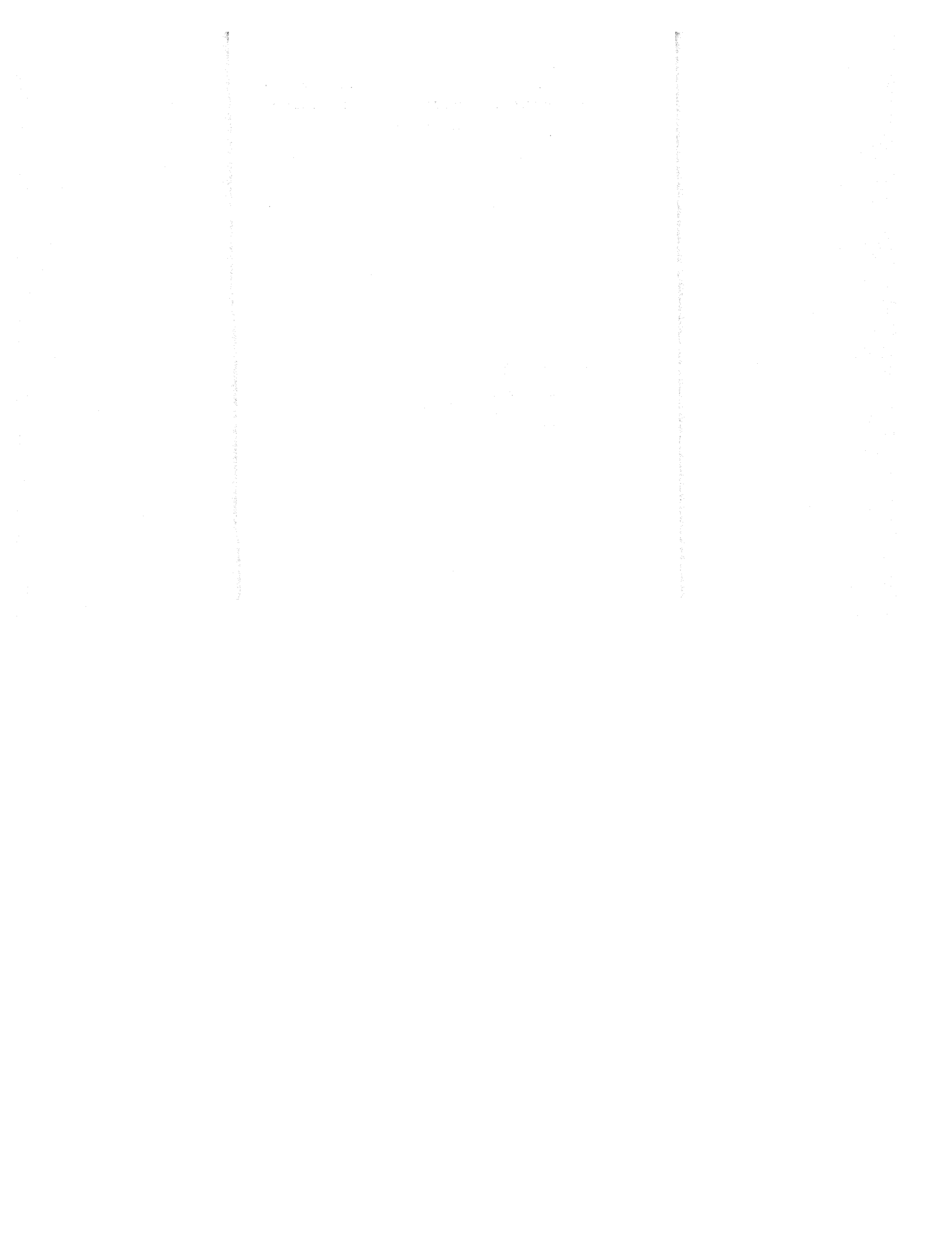
* كانت هذه بعض أسباب النجاة من عذاب القبر . . . فأسأل الله (جل وعلا) أن ينجينا وإياكم من عذاب القبر ومن عذاب النار وأن يجمعنا جميعاً فى جنته ودار كرامته إخواناً على سُررٍ متقابلين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . . . . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

محمود المصرى

(أبو عمار)



محتويات الكتاب

